

السفارة في عصر الرسالة

أ.م.د. قحطان حمدي محمد

جامعة تكريت / مركز صلاح الدين الايوبي / للدراسات التاريخية والحضارية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الواحد الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم... أما بعد:

ظهر الاسلام في ظروف شديدة التعقيد داخل الجزيرة العربية وخارجها، فالعرب تحكمت بهم العادات والتقاليد حتى اصبحت ديناً يتمسكون به ولا يتخلون عنه مهما كلفهم الامر وضاعت معها كلمة العقل الرشيد، والشاهد على ذلك الحروب التي تعددت بين القبائل وقد طال زمنها ولم يكن ورائها اسباباً تستحق تلك التضحيات الجسيمة، بل لا تعدو ان تثور الحرب بسبب المنافسة بين خصمين سعياً وراء الشهرة والسيادة، وقد تشتعل الحرب نصرة لقريب وان كان ظالماً، وقد تقوم الحرب لاسباب اخرى، منها اجارة المستجير وربما نشأت الحرب بسبب الدفاع عن العرض او الاخذ بالثأر او بسبب المنافسة على رئاسة او زعامة، وقد تجر المنافسة الطائشة الى ويلات وحروب، وتكون الاسباب تافهة كما حصل في حرب البسوس الشهيرة، ولا ننسى اسباب حرب داحس والغبراء.

اما الدول المحيطة بالجزيرة العربية فكانت تتقاسم السيادة فيها الساسانيون والبيزنطيون وقد غرقنا في حروب دموية سببها التنافس على السيطرة والهيمنة على بعضها البعض، فلم يكن لنداء العقل اية فرصة والتي تمثلها الدبلوماسية الواعية والسياسة الهادفة الى احقاق الحق بطريقة الحوار الناضج والاقناع بالكلمة الطيبة.

ان هذه الاجواء تركت سلوكاً سياسياً يتناسب ومبدأ البقاء للاقوى، وهنا جاءت الشريعة الاسلامية لتضع القوانين التي تؤكد احترام انسانية الانسان وتركز موازين حضارية كانت شبه غائبة عن السلوك السياسي او الاجتماعي، ومن تلك الاسس التي ارساها الاسلام هي السفارة بين اطراف المجتمع الدولي انذاك او القبلي، وقد حدد لها الاسلام شروطاً لاختيار من يقوم بها تؤكد

الراقي الحضاري الذي يمكن ان يكون مقياسا للتحول الذي احده الاسلام، وهذا الفهم للسفارة والسفير كان وراء اختياره عنوانا لدراسة القدرة التأثيرية للحضارة العربية الاسلامية على التغيير الايجابي الذي احده و اعطى بالنتيجة امتدادا زمنيا وسعة جغرافية للدولة العربية الاسلامية قبل نظيرها لاي دولة اخرى.

ومن اجل الوصول الى افضل دراسة لهذا العنوان فقد تم تقسيمه الى خمسة مطالب:

المطلب الاول: لبيان المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفردة سفارة

المطلب الثاني: فكان تركيزه على اول سفير ارسله الرسول (صلى الله عليه وسلم)

المطلب الثالث: فكان يوضح تبادل الاراء بين المسلمين والمشركون في صلح الحديبية والكيفية التي يتفق عليها من اجل انهاء حالة الصراع

المطلب الرابع: يركز على سفارة الرسول صلى الله عليه وسلم الى سلاطين وملوك وامراء العالم انذاك يدعوهم الى الاسلام

المطلب الخامس: فاهتم بالتطبيق العملي للسفارة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وبالتحديد بداية الدعوة الاسلامية.

وتوج البحث بخاتمة واستنتاجات.

واعتمد البحث على مجموعة من المصادر والمراجع المهمة والتي كان من اهمها كتاب المغازي للواقدي (ت٢٠٧هـ) والسيرة النبوي لابن هشام (ت٢١٨هـ)، وتاريخ الطبري (ت٣١٠هـ) وكتاب المسعودي مروج الذهب ومعادن الجوهر (ت٣٤٦هـ) وكذلك كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد (ت٢٣٠هـ) وكتب الصحاح، ومعاجم اللغة والعديد من المراجع التي استوجبتها البحث.

والله من وراء القصد وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين صلى الله على الرحمة المهداة

سيدنا محمد وعلى اله وصحبه ومن والاه.

المطلب الأول

معنى السفارة:

السفير: الرسول والمصلح بين القوم، والجمع سفراء، وقد سَفَرَ بينهم، يَسْفِرُ سَفْراً وسفارة وسفارة: أصلح، وفي حديث علي رضي الله عنه انه قال لعثمان: إن الناس قد استسفروني بينك وبينهم، أي جعلوني سفيرا، وهو الرسول المصلح بين القوم. يقال: سَفَرْتُ بين القوم اذا سعت بينهم في الاصلاح...

قال ابن عرفة: سميت الملائكة سَفَرَةً لانهم يَسْفِرُونَ بين الله وبين انبيائه، قال ابو بكر: سُمُوا سَفَرَةً لانهم ينزلون بوحى الله وبإذنه وما يقع به الصلاح بين الناس فشبهوا بالسفراء الذين يصلحون بين الرجلين فيصلح شأنهما...

وفي التنزيل العزيز: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝﴾ قال المفسرون: السفارة بين الملائكة الذين يكتبون اعمال بني آدم، واحدهم سافرٌ مثل كاتب وكتبة، قال ابو اسحاق: واعتباره بقوله ﴿كِرَامًا كَنِينًا ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝﴾، وقول ابي صخر الهذلي:

لليلي بذات البين دار عرفتها *** وأخرى بذات الجيش آياتها سُفْرُ^(١)

وجاء في كتاب العين:

والسَّفِيرُ: رسول بعض القوم إلى قوم، وهم السُّفَرَاءُ.

سَفْرٌ يخرجُ من بني إسرائيلَ من مصر، وسِفرٌ لسيرة الملوك، وسِفرٌ الوَصِيَّةِ وسفرٌ مُكَرَّرٌ. والسَّفَرَةُ: الكَتَبَةُ، وملائكةُ السَّمَاءِ والأَرْضِ سَفَرَةٌ أي كَتَبَةٌ، وهم الكَتَبَةُ الذين يُحْصُونَ أَعْمَالَ أَهْلِ الْأَرْضِ من قوله سبحانه: بِأَيْدِي سَفَرَةٍ^(٢).

(١) البيت لابي صخر الهذلي في شرح اشعار الهذليين، ص ٩٥٦، واللسان (جيش)؛ ينظر: ابن منظور، جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم الانصاري الاقريقي المصري (ت ٧١١هـ)؛ لسان العرب، حققه عامر احمد حيدر، عبدالمنعم خليل ابراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥م-١٤٢٦هـ، ج ٣، ص ٣٤٥، ٣٤٦.

(٢) سورة عبس، الآية: ١٥؛ الفراهيدي، ابو عبدالرحمن، الخليل بن احمد (ت ١٧٥هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥م-١٤٢٦هـ.

وجاء في كتاب أساس البلاغة:

سفر: سافر سفرًا بعيداً وبينى وبينه مسافر بعيد وهو مسافر : كثير الأسفار. ويعبر مسفر : قوي على السفر . وسفرت بين القوم سفارة ومشى بينهم السفير والسفراء^(١).

وجاء في كتاب المفردات في غريب القرآن:

والسفير، الرسول بين القوم يكشف ويزيل ما بينهم من الوحشة فهو فعيل بمعنى فاعل، والسفارة الرسالة، فالرسول والملائكة والكتب مشتركة في كونها سفارة عن القوم ما استبهم عليهم، والسفير فيما يكنى في معنى المفعول والسفار في قول الشاعر: وما السفار فُبح السفار^(٢).

وجاء في كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر:

وفي حديث علي رضي الله عنه أنه قال لعثمان إن الناس قد استسفروني بينك وبينهم أي جعلوني سفيراً وهو الرسول المصلح بين القوم يقال سفرت بين القوم إذا سعت بينهم في الإصلاح^(٣).

وجاء في كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير:

و (سَفَرْتُ) بين القوم (أُسْفِرُ) أيضا (سِفَارَةً) بالكسر أصلحت فأنا (سَافِرٌ) و (سَفِيرٌ) و قيل للوكيل ونحوه (سَفِيرٌ) و الجمع (سَفَرَاءُ) مثل شريف و شرفاء و كأنه مأخوذ من قولهم (سَفَرْتُ) الشيء (سَفَرًا) من باب ضرب إذا كشفته وأوضحته لأنه يوضح ما ينوب فيه ويكشفه و (سَفَرْتُ) المرأة (سَفُورًا) كشفت وجهها فهي (سَافِرٌ) بغير هاء و (أُسْفَرُ) الصبح (إِسْفَارًا) أضاء و (أُسْفَرُ) الوجه من ذلك إذا علاه جمال و (أُسْفَرُ) الرجل بالصلاة صلاها في (الأَسْفَارِ)

(١) الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٢) للراغب الاصفهاني، تحقيق محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، ط ٦، ٢٠١٠م - ١٤٣١هـ، ص ٢٣٩.

(٣) ابن الاثير، الامام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والاثر، تحقيق الشيخ خليل مامون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط ٣، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

و (السَّفَرَةُ) طعام يصنع للمسافر و الجمع (سَفَرٌ) مثل غرفة و غرف وسميت الجلدة التي يوعى فيها الطعام (سَفَرَةٌ) مجازاً^(١).

وجاء في مختار الصحاح:

السَّفِيرُ الرسول المصلح بين القوم والجمع سُفْرَاءُ كَفَقِيهِ وفقهاء و سَفَرٌ بين القوم يسفر بكسر الفاء سِفَارَةً بالكسر أي أصلح^(٢).

وجاء في كتاب تاج العروس من جواهر القاموس:

وَرَجُلٌ سَفَرٌ وَقَوْمٌ سَفَرٌ وَهُوَ جَمْعُ سَافِرٍ كَشَارِبٍ وَشَرِبٌ وَيُقَالُ رَجُلٌ سَافِرٌ وَسَفَرٌ أَيْضاً وَقَدْ يَكُونُ السَّفَرُ لِلوَاحِدِ قَالَ الشَّاعِرُ :

" عُوْجِي عَلَى فَإِنِّي سَفَرٌ أَيْ مُسَافِرٌ مِثْلُ الْجَمْعِ لِأَنَّهُ فِي الْأَصْلِ مُصَدَّرٌ . قَوْمٌ سَافِرَةٌ وَأَسْفَارٌ وَسُقَارٌ أَيْ دَوُو سَفَرٍ لَصْدَ الْحَضَرِ سُمِّيَ بِهِ لَمَا فِيهِ مِنَ الذَّهَابِ وَالْمَجِيءِ كَمَا تَذْهَبُ الرِّيحُ بِالسَّفِيرِ مِنَ الْوَرَقِ وَتَجِيءُ كَذَا فِي الْمُحْكَمِ .

وفي التهذيب : سُمِّيَ السَّفَرُ سَفَرًا لِأَنَّهُ يُسَفَرُ عَنْ وُجُوهِ الْمُسَافِرِينَ وَأَخْلَاقِهِمْ فَيُظْهِرُ مَا كَانَ خَافِيًا فِيهَا . وَالسَّافِرُ الْمَسَافِرُ قِيلَ : إِنَّمَا سُمِّيَ مُسَافِرًا لِكَشْفِهِ قِنَاعِ الْكِتَابِ عَنْ وَجْهِهِ وَمَنَازِلَ الْحَضَرِ عَنْ مَكَانِهِ وَمَنْزِلَ الْخَفْضِ عَنْ نَفْسِهِ وَيُرْوَاهُ لِلْأَرْضِ الْفَضَاءِ لَا فِعْلَ لَهُ .

وفي المُحْكَمِ : وَرَجُلٌ سَافِرٌ : ذُو سَفَرٍ وَلَيْسَ عَلَى الْفِعْلِ لِأَنَّهُ لَمْ يَنْزَلْ لَهُ فِعْلًا

وفي المصباح : سَفَرَ الرَّجُلُ سَفَرًا مِثْلَ طَلَبَ : خَرَجَ لِلزَّيْحَالِ فَهُوَ سَافِرٌ وَالْجَمْعُ سَفَرٌ مِثْلُ صَاحِبٍ وَصَحْبٍ لَكِنْ اسْتَعْمَلَ الْفِعْلَ مَهْجُورًا وَاسْتَعْمَلَ الْمَصْدَرَ اسْمًا وَجُمِعَ عَلَى أَسْفَارٍ ...

(١) الامام الرافعي، احمد بن محمد بن علي المغربي الفيومي (ت ٧٧٠هـ)، اعتنى به الشيخ احمد عزو عناية، بيروت، ط ٢،

١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ص ٢٢٠.

(٢) الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبدالقادر (ت ٦٦٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٧٩م، ص ٣٠٠.

والمِسْفَر بالكسرة : الرَّجُلُ الْكَثِيرُ الْأَسْفَارِ وَالْمِسْفَرُ أَيْضاً الْقَوِيُّ عَلَى السَّفَرِ اقْتَصَرَ الْأَزْهَرِيُّ عَلَى الثَّانِي وَجَمَعَهُمَا ابْنُ سَيِّدِهِ فِي الْمُحْكَمِ وَنَصَّهُ : وَالْمِسْفَرُ : الْكَثِيرُ الْأَسْفَارِ الْقَوِيُّ عَلَيْهَا فَلَوْ قَالَ الْمَصْنَفُ هَكَذَا كَانَ أَخْصَرَ زَادَ الْأَزْهَرِيُّ : وَهِيَ مِسْفَرَةٌ بِهَاءٍ أَنْشَدَ فِي الْمُحْكَمِ^(١) :

" لَنْ يَعْدَمَ الْمَطِيُّ مِنِّي مِسْفَرًا شَيْخًا بَحَالًا وَغُلَامًا حَزُورًا

وَبَعِيرٌ مِسْفَرٌ : قَوِيٌّ عَلَى السَّفَرِ قَالَ النَّمِرُ بْنُ تَوَلَّبٍ^(٢) :

أَجَرْتُ إِلَيْكَ سُهوبَ الْفَلَاةِ ... وَرَحَلِي عَلَى جَمَلٍ مِسْفَرٍ

وَنَاقَةٌ مِسْفَرَةٌ وَمِسْفَارٌ كَذَلِكَ قَالَ الْأَخْطَلُ^(٣) :

وَمَهْمَهُ طَامِسٍ تُخْشَى غَوَائِلُهُ ... قَطَعْتُهُ بِكُلُوءِ الْعَيْنِ مِسْفَارٍ

وَالسُّفْرَةُ بِالضَّمِّ : طَعَامُ الْمُسَافِرِ الْمُعَدَّ لِلسَّفَرِ هَذَا هُوَ الْأَصْلُ فِيهِ ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى وَعَائِهِ وَمَا يُوضَعُ فِيهِ مِنَ الْأَدِيمِ ثُمَّ شَاعَ الْآنَ فِيهَا يُؤْكَلُ عَلَيْهِ .

وَسَفَرَ بَيْنَ الْقَوْمِ : أَصْلَحَ يَسْفِرُ بِالْكَسْرِ وَيَسْفَرُ بِالضَّمِّ سَفَرًا بِالْفَتْحِ وَسَفَارَةً كَسَحَابَةٍ وَسِفَارَةً بِالْكَسْرِ وَهِيَ كَالْكَفَالَةِ وَالْكِتَابَةِ يَرَادُ بِهَا التَّوَسُّطُ لِلْإِصْلَاحِ (فَهُوَ سَفِيرٌ) كَأَمِيرٍ وَهُوَ الْمُصْلِحُ بَيْنَ الْقَوْمِ وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ يَكْشِفُ مَا فِي قَلْبِ كُلِّ مِنْهُمَا لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا وَيُطْلَقَ أَيْضاً عَلَى الرَّسُولِ لِأَنَّهُ يُظْهِرُ مَا أَمَرَ بِهِ وَجَمَعَ بَيْنَهُمَا الْأَزْهَرِيُّ فَقَالَ : هُوَ الرَّسُولُ الْمُصْلِحُ .

وَسَفَرَهُ تَسْفِيرًا: أَرْسَلَهُ إِلَى السَّفَرِ، وَهُوَ قَطْعُ الْمَسَافَةِ...

وَرَجُلٌ مِسْفَارٌ: كَثِيرُ الْأَسْفَارِ^(٤).

(١) الزبيدي، السيد محمد مرتضى بن محمد الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، اعتنى به الدكتور

عبدالمنعم خليل إبراهيم، الأستاذ كريم سيد محمد محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢م-١٤٣٣هـ، ج ١٢، ص ١٩-٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ج ١٢، ص ٢٠؛ ديوان النمر بن تولب، ص ٣٥٤.

(٣) المصدر نفسه، ج ١٢، ص ٢١؛ ديوان الاخطل ص ١٩٦.

(٤) المصدر نفسه، ج ١٢، ص ١٩-٢٤.

المطلب الثاني

الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ثبتها بالقرآن الكريم وبلغها الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)، ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٥٢) ^(١)، وقال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٨) ^(٢)، وقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧) ^(٣)، إذن فإن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت دعوة ربانية تحمل من جراء تبليغها العذاب والاضطهاد هو وأصحابه الى ان وضع اللبنة الأولى في سبيل إرساء الأسس الأولى لأول دولة للإسلام أنشأت في المدينة المنورة. ولكي يفتح الرسول صلى الله عليه وسلم على العالم كله كان عليه ان يرسل رسائل الى الملوك، وانهم كانوا لا يقرأون كتابا بدون ختم، فاتخذ خاتما من فضة ونقش فيه محمد رسول الله ^(٤).

سفارة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه الى أرض الحبشة:

إن أول سفارة في الاسلام الى أرض الحبشة وهي سفارة دبلوماسية ذات ثمار سياسية وإعلامية وكانت اثر التعذيب والتتكيل الذي ناله المسلمون من كفار قريش فاشار اليهم الرحمة المهداة بالسفر الى الحبشة والخلص من عذاب قريش لقوله صلى الله عليه وسلم " إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحدا عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه " ^(٥).

(١) سورة القلم، الآية: ٥٢.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

(٣) سورة الانبياء، الآية: ١٠٧.

(٤) صحيح البخاري، حديث رقم (٥٤١٧) كتاب اللباس، باب خاتم الفضة؛ و صحيح مسلم الحديث رقم (٣٨٩٩) كتاب اللباس والزينة، باب لبس النبي صلى الله عليه وسلم خاتم من ورق؛ ابو داود حديث رقم (٤٢١٤) كتاب الخاتم باب ما جاء في اتخاذ الخاتم، حديث رقم (٤٢١٨)، (٤٢٢٠)، والطبري، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، تاريخ الطبري، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، ط٤، لا ت، ج٤، ص ٢٨١.

(٥) محمد بن اسحاق المطلبلي، (ت ١٥١هـ)، تاريخ الطبري، تحقيق محمد حميد الله، ومعهد الدراسات والابحاث والتعريب، لا ط، لا ت.

وكانت هذه الهجرة طلبا للامن والامان اذ تركوا اهلهم وديارهم الى الحبشة والى ملكها النجاشي^(١).

وقد اكد القرآن الكريم هذه الهجرة بقوله: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٢)، وكان جعفر بن ابي طالب قد خرج باهله ومعه امرأته اسماء بنت عميس وبقية اخرين وكان ذلك في رجب من السنة الخامسة من النبوة، وكان مجموعهم جميعا حوالي ثلاثة وثمانين فردا^(٣)، وكان هو اميرهم.

ولما ارسل اليهم النجاشي تكلم معه جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه فقال له:

((كنا قوما على الشرك نعبد الأوثان ، ونأكل الميتة ، ونسيء الجوار ، ونستحل المحارم بعضنا من بعض في سفك الدماء ، وغيرها ، لا نحل شيئا ، ولا نحرمه ، فبعث الله إلينا نبيا من أنفسنا نعرف وفاءه ، وصدقه ، وأمانته ، فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له ، ونصل الرحم، ونحسن الجوار ، ونصلي الله، ونصوم له ، ولا نعبد غيره))).

وقال زياد عن ابن اسحاق:

(فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِتُوحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَتَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجَوَارِ وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالْدَّمَائِ وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ - قَالَ فَعَدَدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ - فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، قَالَ : فقال : فهل معك شيء مما جاء به ، وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله ، فقال له جعفر : نعم، فقال : هلم فائل علي ما جاء به . فقرأ عليه صدرا من كهيعص ، فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته ،

(١) الذهبي، شمس الدين محمد احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)، سير اعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارناؤوط وحسين الاسد،

مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ-١٩٨١، ج١، ص٤٢٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٢، ص٣٢٩.

وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم ، ثم قال : إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها عيسى ، انطلقوا راشدين ، لا والله لا أردهم عليكم ولا أنعمكم عينا^(١).

ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ إِنَّ هَذَا وَاللَّهِ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لِيُخْرِجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ انْطَلَقًا فَوَ اللَّهُ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا وَلَا أَكَادُ^(٢).

فطمأنهم بانهم آمنون بارضه فأقاموا عنده بخير دار مع خير جار .

فكان جعفر يحمل من اللباقة وحسن الكلام وصدقه وكان يتمتع بمزايا رائعة جعل ثقة الرحمة المهداة به وتحليه بالطاعة والارادة القوية الثابتة والمسؤولية العالية التي جعلته بان يكون سفيرا للرسول صلى الله عليه وسلم وهذه هي صفات السفير الناجح، فكان يتمتع بالاسلوب السهل الممتنع الذي غطى على سفييري قريش، اذ ان جعفر كان من تلاميذ مدرسة محمد (صلى الله عليه وسلم).

وكان يحفظ القرآن مما جعله يجيب النجاشي عندما سأله عما كان يحفظ بشأن عيسى بن مريم عليه السلام، وان جعفر كان يدافع ليس عن نفسه فقط فكان يدافع عن تلك الطليعة الفذة القوية التي حاربت الشرك واهله وخاصة ان اشارة الرحمة المهداة لتلك الطليعة كانت اشارة ربانية تحمل حفظ الله لهم ورعايته وان امارة جعفر رضي الله عنه كانت تحمل تلك الاشارة الربانية المؤيدة من السماء، وخاصة فان رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت واضحة له:

(١) ابن كثير، اسماعيل بن عمرو ابو الفداء الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، ج٣، ص٧٣، ٧٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٧٤.

(بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سلم أنت؛ فإني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن؛ وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحسينة، فحملت بعيسى؛ فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له؛ والموالاة على طاعته؛ وأن تتبني وتؤمن بالذي جاءني؛ فإني رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرًا ونفراً معه من المسلمين؛ فإذا جاءك فأقرهم، ودع التجبر؛ فإني أدعوك وجنودك إلى الله؛ فقد بلغت ونصحت؛ فاقبلوا نصحي، والسلام على من اتبع الهدى^(١).

وهذا يعني أن الرسول صلى الله عليه وسلم يشهد بنبوة عيسى عليه السلام، وإنهما الاثنين وغيرهما يدعون إلى توحيد الله، وأن على النجاشي أن يؤمن بأن محمداً رسول الله وأن عليه أن يؤمن على المهاجرين إليه بما فيهم جعفر رضي الله عنه. فاسلم النجاشي لما رأى من جعفر من عقل راجح وذكاء رائع، فكان بحق سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، فكانت علاقة النجاشي علاقة رائعة حميمة.

(١) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٦٥٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣، ص ٨٣.

المطلب الثالث

السفارة الى المدينة المنورة سنة ١١ من الدعوة التي تزعمها مصعب بن عمير (رضي الله عنه):

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستثمر موسم الحج لدعوة القبائل العربية الى الاسلام وخاصة في موسم الحج فكان يعرض عليهم الاسلام^(١)، وكان يركز على اهل يثرب لان فيهم اخواله من بني النجار فكانوا يعيشون مع اليهود وهم اهل دين، فلقي صلى الله عليه وسلم نفرا من الانصار وعرض عليهم الاسلام بعد ان سألهم: ((من أنتم؟ - قالوا: نفر من الخزرج، قال: أمن موالي يهود - قالوا: نعم، قال: أفلا تجلسون أكلّمكم - قالوا: بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، وكان ممّا صنع الله به في الإسلام أنّ يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأوثان، وكانوا قد غزوه ببلادهم، فكانوا إذا كان بهم شيء قالوا: إنّ نبياً مبعوث الآن، قد أظلم زمانه، نتبعه، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلّموا والله إنّهُ للنبيّ الذي توعّدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه، فأجابوه وأسلموا وقالوا: إنّنا تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشرّ ما بينهم، وعسى الله أن يجمعهم بك فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبتك به، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعزّ منك، ثم انصرفوا وواعدوه في الموسم المقبل))^(٢).

ووعده بايصال دعوته الى يثرب، ولم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣).

في السنة الحادية عشرة للدعوة الموافقة سنة ٦٢١م توجه اثنا عشر رجلا من اهل المدينة الى مكة وكان اثنان منهم ينتميان الى قبيلة الاوس والبقية كانوا من قبيلة الخزرج والتقوا بالرسول

(١) ابن هشام، ابو محمد بن عبدالمك (ت٢١٣هـ)، السيرة النبوية، مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٥م؛ ابن سعد، احمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري (ت٢٣٠هـ)، طبقات ابن سعد (الطبقات الكبرى)، دار صادر، بيروت، لاط، لات، ج١، ص١٤٥؛ الطبري، تاريخ، ج٢، ص٣٤٨.

(٢) ابن هشام، السيرة، ج١، ص٤٢٨؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢١٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص١٤٧؛ الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (ت٩٨٢هـ)، تاريخ الخيس في احوال انفس النفيس، المطبعة الوهبيّة، مصر، ١٢٨٣هـ، ج١، ص١٥٨.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص١٤٧.

صلى الله عليه وسلم في العقبة والتي تقع بين مكة والمدينة وعلى بعد نحو ميلين عن مكة فبايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم على الالتزام بالمبادئ الأخلاقية التي جاء بها الإسلام فكانت هذه هي بيع العقبة الأولى والتي أطلقوا عليها فيما بعد (بيعة النساء) ^(١).

بالإضافة إلى أن هذه البيعة كان لها مضمون ديني وأخلاقي وكذلك على مضمون سياسي، إذ نصت هذه البيعة على طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والالتزام بهذه الطاعة فيكونون بذلك أنهم قد أسلموا قيادتهم للرسول صلى الله عليه وسلم على المستوى السياسي أيضاً. فأرسل معهم الرحمة المهداة (مصعب بن عمير) إلى المدينة لكي يقرئهم القرآن ويعلمهم تعاليم الإسلام ويفقههم بالدين، فكان يصلي بهم أماماً ^(٢).

وكان مصعب بن عمير حريصاً على نشر الدعوة بين أفراد قبيلة الأوس بصورة خاصة لأن معظم من كان أسلم كانوا من الخزرج، لذا فإنه كان يريد كسب الأوس إلى جانب الدعوة من أجل توحيد أهل المدينة تحت رايته ^(٣).

وهكذا استطاع مصعب أن ينتقل بالدعوة من أسلوب الحذر والسرية إلى أسلوب العلانية بعد أن أسلم سيد بني عبد الأشهل سعد بن معاذ وأسيد بن حضير مع كافة أفراد العشيرة حتى أن مصعباً انتقل من دار أسعد بن زرارة بعد أن ضاق قومه مع بني النجار بنشاطه إلى سعد بن معاذ ^(٤).

وفي سنة ٦٢٢م ذهب إلى مكة وفد من الأنصار وقابلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها، فوعدهم على الاجتماع بهم عند العقبة بعد أن يفرغوا من أداء مناسك الحج، وأمرهم أن يلتزموا بالسرية التامة حين التوجه إليه فلا (ينبهوا نائماً ولا ينتظروا غائباً) ^(٥).

(١) ابن هشام، السيرة، ق ١، ص ٤٧١.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٢٠.

(٣) الملاح، د. هاشم يحيى، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، ص ١٥٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٥٦.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١٣، ص ٢٢١.

وعندما حان موعد الاجتماع ومضى ثلث الليل خرج الانصار من رحالهم لحضور موعدهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم يتسللون (تسلل القطا) مستخفين حتى اجتمعوا في الشعب عند العقبة^(١).

وتمخض الاجتماع عن اتفاق بين الاطراف وقد اكد الرحمة المهداة للانصار ان اتفاقه معهم هو اتفاق لا رجعة فيه، وبعد اكمال المبايعة طلب الرسول صلى الله عليه وسلم منهم ان يخرجوا اثني عشر نقيبا ليكونوا كفلاء عنهم، فاخرجوا له تسعة نقباء من الخزرج وثلاثة من الاوس وذلك لان عدد الخزرج بين الانصار كان اكبر بكثير من عدد الاوس الذين لم يزدوا عن احد عشر شخصا من مجموع الذين بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة الثانية^(٢).

وقد دامت سفارة مصعب بن عمير في المدينة سنة كاملة قام بكافة مهامه الدينية والسياسية فيها، فكانت قاعدة اساسية جديدة لانشاء اول دولة في تاريخ الاسلام، وكذلك كانت هذه السفارة بمثابة عامل رئيسي لالغاء كافة العداء الذي كان متأسلا بين الاوس والخزرج، اذا كانت صلاة الجمعة وكافة ما عرفته دعوة الاسلام من واجبات، فاصبح مجتمعا جديدا يسوده الحب والوحدة والوئام.

كما ان نزول مصعب بن عمير واستقراره في دور الخزرج وخاصة في دار اسعد بن زرارة وهو بلا شك من الشخصيات المهمة التي كانت قد سهلت كافة المهمات التي كان يمارسها مصعب في مجتمع المدينة، اذ ان الخزرج كانوا اكثر استجابة للاسلام من غيرهم وان عددهم كان هو الاكثر في المجتمع، وخلاصة القول فان قابلية هذا السفير وما كان يتميز به من قابلية في ادارة الشؤون الادارية والسياسية في المدينة، وكان كذلك شخصية تملؤها الحيوية والشباب والمترفة سابقا كان لها الاثر الكبير بنجاح سفارته، ولا عجب فانه كان مؤيدا من الله لانه كان فعلا مع الله، ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾^(٣).

(١) ابن هشام، السيرة، ق ١، ص ٤٤١؛ الملاح، د. هاشم، الوسيط، ص ١٥٨.

(٢) الحديثي، د. نزار، الامة والدولة في سياسة النبي والخلفاء الراشدين، ص ٩٥؛ الملاح، الوسيط، ص ١٦٠.

(٣) سورة النحل، الاية: ١٢٨.

المطلب الرابع

صلح الحديبية سنة ٦هـ وسفراء الرسول صلى الله عليه وسلم الى قريش:

في السنة السادسة للهجرة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ومعه حوالي ألف وأربعمائة من أصحابه متجها الى مكة (معتمرا لا يريد حربا) وساق معه سبعين بدنة أي سبعين جملا لتقديمها اضاحي عند المسجد الحرام^(١).

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج للعمرة في ذي القعدة سنة ست فاستتفر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه للخروج معه فأسرعوا وتهيأوا ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته فاغتسل ولبس ثوبين وركب راحلته القصواء وخرج^(٢).

حتى اذا كان الظهر صلى بذي الحليفة (ثم دعا بالبدن التي ساق فجللت ثم أشعرها في الشق الأيمن وقلدها وأشعر أصحابه أيضا وهن موجهاات الى القبلة، وهي سبعون بدنة فيها جمل أبي جهل الذي غنمه يوم بدر ليغيظ المشركين، بذلك وأحرم ولبي^(٣))، باربع كلمات : لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، واحرم عامة المسلمين باحرامه^(٤).

وهذا يعني ان المسلمين يعظمون البيت، ولكي يجعل قريش تخفف من مقاومتها له ولخوفهم من فقدان مكة المكانة الدينية بين العرب، الا ان قريشا كانت تخشى ان تقول للعرب ان محمدا قد دخل مكة عنوة، ولهذا كان رفضهم لدخول الرسول صلى الله عليه وسلم مكة^(٥).

١. أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم بشر بن سفيان الكعبي سفيرا له:

يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل (الابل التي معها اولادها، والتعبير كناية عن ان قريشا قد خرجت بصغارها وكبارها للحرب) قد لبسوا جلود النمر

(١) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٣٠٨.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٩٥.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٩٥.

(٤) الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ)، المغازي، تحقيق مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، لاط، لات، ج ٢،

ص ٥٧٤؛ الملاح، الوسيط، ص ٢٥٦.

(٥) ابن هشام، السيرة، ق ٢، ص ٣١٩.

وقد نزلوا (بذي طوى) ^(١) يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموا الى كراع الغميم (موضع بين مكة والمدينة وهو واد امام عسفان بثمانية اميال) ^(٢) قال: فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم يا ويح قريش قد اكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب فان هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا وان أظهرني الله عليهم دخلوا في الاسلام وافرين وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش فو الله لا أزال أجاهد على هذا الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة (وهي صفحة العنق، وهما سالفتان في جانبيه، وكفى بانفرادها عن الموت لانها لا تنفرد عما يليها الا بالموت، وقيل: اراد حتى يفرق بين رأسي وجسدي) ^(٣) أي اهلك دون ذلك ^(٤).

فارسل بشر بن سفيان عينا له في مكة فتقدم بشر و دخل مكة ورأى ما اعدته قريش لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم رجع اليه واخبره خبر قريش وعدتهم ^(٥).
فارسلت قريش بديل بن ورقاء وكان ادهى العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بانه جاء لتعظيم البيت وزيارته ومعتبرا وكذلك ارسلت عروة بن مسعود الثقفي وتكلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يتناول لحيته، وكان رسول الله لم يغضب لاحترامه له كسفير، فاخبر قريشا بان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء معظما للبيت معه الهدى ينحره وينصرف ^(٦)، وغيره من السفراء الا انهم لم يفلحوا فارسل الرحمة المهداة بعد ذلك...

(١) ذي طوى: موضع عند مكة، ياقوت الحموي، ابو عبدالله شهاب الدين (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩، ج ٤، ص ٢٥.

(٢) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٤٣.

(٣) ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث، ج ١، ص ٧٩٦.

(٤) الملاح، الوسيط، ص ٢٥٧.

(٥) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٥٧٩؛ صحيح البخاري، حديث رقم ٤١٧٩، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية.

(٦) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٥٩٨؛ صحيح البخاري، حديث رقم ٢٧٣١، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد.

٢. خراش بن أمية الخزاعي سفيرا له:

ركب خراش بن أمية على جمل كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى (الثعلب)، وقام عكرمة بن أبي جهل بعقر الجمل، فعاد خراش إلى النبي صلى الله عليه وسلم بدون أن يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد استأذن خراش من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((يا رسول الله ابعث رجلاً أمنع مني!))^(١) فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب لبيعته إلى قريش، فقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشاً على نفسي، قد عرفت قريش عداوتي لها، وليس بها من بني عدي من يمنعي، وإن أحببت يا رسول الله دخلت عليهم. فلم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً. قال عمر: ولكن أدلك يا رسول الله على رجل أعز بمكة مني، وأكثر عشيرةً وأمنع، عثمان بن عفان. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان رضي الله عنه^(٢).

٣. عثمان بن عفان سفيرا للنبي صلى الله عليه وسلم:

فأرسل الرحمة المهداة عثمان بن عفان فقال: ((اذهب إلى قريش فأخبرهم أنا لم نأت لقتال أحد وإنما جئنا زواراً لهذا البيت معظمين لحرمة، معنا الهدى ننحره وننصرف))^(٣)، ذهب عثمان بن عفان فوراً إلى قريش ليبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذهب إلى أشرف قريش وفيهم أبو سفيان بن حرب، وقالوا لعثمان رضي الله عنه: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف، قال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قتل، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين بلغه أن عثمان قد قتل لا نبرح حتى نناجز القوم^(٤). ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البيعة وكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فاقبل الناس يبايعونه على الموت^(٥).

(١) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٦٠٠.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٠؛ الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٦٣١.

(٣) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٦٠٠.

(٤) ابن هشام، السيرة، ج ٣، ص ٣٣٠؛ الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٦٣١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٤، ص ١٦٧.

(٥) البخاري، رقم الحديث (١٧١٣)، كتاب الحج ٢٥، باب النحر للابل مقيدة (١١٨).

فارسلت قريش سهيل بن عمرو وقالوا له: (آت محمدا وصالحه ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا فوالله لا تتحدث العرب أنه دخلها عنوة أبدا)^(١). ولما رأى الرحمة المهداة سهيل بن عمرو قادما قال: ((قد اراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل))^(٢).

فلما تباحثوا وقرروا الصلح بينهم، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ليكتب بينهم نص ما اتفق عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((" اكتب بسم الله الرحمن الرحيم " قال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اكتب باسمك اللهم ، هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيل بن عمرو " فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله ما قاتلتك ولكن اكتب باسمك وباسم أبيك ..)) . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اكتب هذا : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو اصطلاحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض على انه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه وان بيننا عيبة مكفوفة وانه لا أسلال (السرفه): وقيل سل السيوف، والاغلال: الخيانة وقيل لبس الدروع^(٣) ولا اغلال وانه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه^(٣)، وان محمدا يرجع عنا عامه هذا باصحابه ويدخل علينا قابل في اصحابه فيقيم ثلاثا لا يدخل علينا بسلاح الا سلاح المسافرين، السيوف في القرب^(٤)، وقد اشهد على هذا الاتفاق عددا من المسلمين واثنين من المشركين وكتب الاتفاق بنسختين احتفظ الرسول صلى الله عليه وسلم بواحدة وسلمت الاخرى الى سهيل بن عمرو^(٥)، وكان هذا الصلح قد فوت على المسلمين فرصة الدخول الى مكة وتضمن بعض الشروط التي لم يرتح عليها بعض المسلمين وكان من بين المعترضين عمر بن الخطاب رضي

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص٣٣١؛ الطبري، تاريخ، ج٢، ص٦٣٣.

(٢) سنن أبي داود، باب في صلح العدو ٤٧١.

(٣) ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث والاثار، ج٢، ص٣٩٢.

(٤) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص٣١٧.

(٥) الواقدي، المغازي، ج٢، ص٦١١؛ ابن هشام، السيرة، ج٢، ص٣١٨.

(٦) الواقدي، المغازي، ج٢، ص٦١٢؛ الملاح، د. هاشم، الوسيط، ص٢٦٠.

الله عنه، فقد جاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال له: يا رسول الله أأنت برسول الله؟ قال بلى قال أولسنا مسلمين؟ قال بلى قال أوليسوا بالمشركين؟ قال بلى قال فعلام نعطي الدنية في ديننا قال انا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني^(١).

لقد كان المكسب الذي حققته قريش من صلح الحديبية هو رفع الحصار الاقتصادي الذي فرضه المسلمون على تجارتها الى بلاد الشام وظهورها امام العرب بمظهر القوي الذي استطاع ان يمنع المسلمين من دخول مكة، وهو الامر الذي احزن عامة المسلمين وجعلهم يعارضون صلح الحديبية^(٢).

لقد اعطى توقيع صلح الحديبية القبائل العربية مجالا للتعاقد مع المسلمين وقد دخل كثير من الناس في الاسلام، اذ خرج رسول الله في عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة الاف مسلم، وان نزول سورة الفتح، ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٣)، فقد اعتبر القرآن صلح الحديبية بمثابة فتح للمسلمين، وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: (ما كان فتح في الإسلام أعظم من فتح الحديبية، ولكن الناس يومئذٍ قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه؛ والعباد يعجلون)^(٤).

بقي ان نعرف من موضوع صلح الحديبية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كلم سهيل بن عمرو في مسألة اجارة ابنه ابي جندل لانه اسلم، الا انه نقض ذلك فقام مكرز بن حفص ومعه حويطب باجارته فاجاراه، وبعدها افلت وقدم المدينة ولم يزل يغزو الى ان مات بطاعون عمواس في الشام في زمن خلافة عمر رضي الله عنه^(٥).

(١) ابن هشام، السيرة، ق٢، ص٣١٧.

(٢) الملاح، د. هاشم، الوسيط، ص٢٦١.

(٣) الواقدي، المغازي، ج٢، ص٣٠٩.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص٣٣٤؛ الطبري، تاريخ، ج١، ص٦٣٨.

ويقول ابن سعد: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست أرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكتب إليهم كتباً، فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد، وذلك في المحرم سنة سبع، وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذي بعثه إليهم^(١). والظاهر أن كلام ابن سعد (وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذي بعثه إليهم) يعني أن معظمهم قد مارس التجارة وأن كل تاجر يعرف لغة تلك الاقوام التي مارس التجارة فيها، وكذلك قابليتهم على التعلم، فقد ذكر زيد بن ثابت قال: (أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلمت له كتابة اليهود، وقال: "إني والله ما آمن يهود على كتابي" فتعلمته، فلم يمر بي نصف شهر حتى حدقته، قال: "إني كنت أكتب له إذا كتب، وأقرأ له إذا كتب إليه).

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٥٨.

المطلب الخامس

سفارته الى الملوك

١. سفارة عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي:

ذكر الواقدي ان الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي مع عمرو بن أمية الضمري هو هذا: ((بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة فإني أحمد إليك الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيم وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة فحملت بغيره فخلفه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده.

وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاته على طاعته وأن تتبني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرًا ومعه نفر من المسلمين والسلام على من اتبع الهدى)).

فكتب اليه النجاشي:

(بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله من النجاشي سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته الذي لا اله الا هو الذي هداني إلى الإسلام .

أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى عليه السلام فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثورقاً (شعبة من شمرخ العذق)^(١) إنه كما قلت وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقد قرينا ابن عمك وأصحابه وأشهد أنك رسول الله وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين)^(٢).

وذكر الواقدي عن سلمة بن الأكوع ان النجاشي توفي في رجب سنة تسع منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تبوك، قال سلمة: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ثم قال: ((إن اصحمة النجاشي قد توفي هذه الساعة، فاخرجوا بنا الى المصلى حتى نصلي عليه))،

(١) ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث والاثار، ج٢، ص٢١٢.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص٨٣ .

قال سلمة: فحشر الناس وخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المصلى، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدمنا وأنا لصفوف خلفه، وأنا في الصف الرابع، فكبر بنا اربعاً^(١). وعن محمد بن عمر قال: أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان؛ ويبحث بها إليه مع من عنده من المسلمين، فأرسل النجاشي إلى أم حبيبة ليخبرها بخطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها جارية له يقال لها أبرهة؛ فأعطتها أوصاحاً (حلياً من فضة) لها وفتخاً^(٢)؛ سروراً بذلك، وأمرها أن توكل من يزوجه، فوكلت خالد بن سعيد بن العاص، فزوجها، فخطب النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخطب خالد فأنكح أم حبيبة، ثم دعا النجاشي بأربعمائة دينار صداقها؛ فدفعها إلى خالد بن سعيد؛ فلما جاءت أم حبيبة تلك الدنانير، قال: جاءت بها أبرهة فأعطتها خمسين مثقالاً، وقالت: كنت أعطيتك ذلك؛ وليس بيدي شيء، وقد جاء الله عز وجل بهذا.

فقالت أبرهة: قد أمرني الملك ألا آخذ منك شيئاً؛ وأن أرد إليك الذي أخذت منك، فرددته وأنا صاحبة دهن الملك وثيابه، وقد صدقت محمداً رسول الله وآمنت به؛ وحاجتي إليك أن تقرئني مني السلام.

قالت: نعم؛ وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بما عندهن من عود وعنبر؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عليها وعندها فلا ينكره.

قالت أم حبيبة: فخرجنا في سفينتين؛ وبعث معنا النواتي حتى قدمنا الجار، ثم ركبنا الظهر إلى المدينة؛ فوجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير، فخرج من خرج إليه، وأقامت بالمدينة حتى قدم رسول الله؛ فدخلت إليه، فكان يسألني عن النجاشي؛ وقرأت عليه من أبرهة السلام، فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها؛ ولما جاء أبا سفيان تزويج النبي صلى الله عليه وسلم أم حبيبة قال: ذلك الفحل لا يقدر أنفه^(٣).

(١) سنن ابن ماجه، رقم الحديث (١٥٣٤)؛ ومجمع الزوائد للهيتمي ج ٣، ص ٣٩؛ الكلاعي، ابو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الحميري الاندلسي (ت ٦٣٤هـ)، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ج ٢، ص ١٢، ١٣.

(٢) الفتحة: خاتم كبير يكون في اليد او الرجل، الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ١١٩.

(٣) الكلاعي، الاكتفاء، ج ٢، ص ٦٥٣، ٦٥٤.

وهذا يعني ان علاقة ابو سفيان بالرسول صلى الله عليه وسلم ستكون افضل لانه تزوج ابنته ام حبيبة.

٢. سفارة عبدالله بن حذافة الى كسرى:

وكسرى هذا هو أبرويز بن هرمز، انو شروان، ومعنى أبرويز: المظفر فيما ذكره المسعودي وهو الذي كان قد غلب الروم، فانزل الله في قصتهم: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ۚ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ (١)، وادنى الارض فيما ذكر الطبري هي بصرى وفلسطين وأدراعات من ارض الشام.

وذكر الواقدي من حديث الشفاء بنت عبدالله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبدالله بن حذافة السهمي منصرفه من الحديبية الى كسرى وبعث معه كتابا مختوما فيه:

((بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس سلام على من اتبع الهدى أما بعد فأسلم تسلم وأمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، ادعوك بداعية الله فاني انا رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، اسلم تسلم فان ابيت فعليك اثم المجوس)).

قال عبدالله بن حذافة، فإنتهيت به إلى بابه فطلبت الإذن عليه حتى و صلت إليه فدفعت إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرئ عليه فأخذه و مزقه فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((مزق الله ملكه)) (٢).

و كان باذان عامل كسرى على اليمن فلما بلغه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم و دعاؤه إلى الله كتب إلى باذان أن ابعث إلى هذا الرجل الذي خالف دين قومه فمره فليرجع إلى دين قومه فإن أبى فابعث إلي برأسه . و يروى : و إلا فليواعدك يوما تقتتلون فيه . فلما ورد كتابه إلى باذان بعث بكتابه مع رجلين من عنده فلما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلهما و أمرهما بالمقام فأقاما أياما ثم أرسل إليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة فقال : ((انطلقا إلى باذان فأعلماه أن ربي عز و جل قد قتل كسرى في هذه الليلة))، فانطلقا حتى قدما على باذان

(١) سورة الروم، الآية: ١-٣.

(٢) الكلاعي، الاكتفاء، ج٢، ص١٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص٣٤٤؛ الطبري، تاريخ، ج٣، ص٦٤٤، ٦٥٤، ٦٥٧.

فأخبره بذلك فقال : إن يكن الأمر كما قال فو الله إن الرجل لنبي وسيأتي الخبر بذلك إلي يوم كذا فأتاه الخبر بذلك فبعث باذان بإسلامه وإسلام من معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١).

٣. سفارة حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس عظيم القبط في ذي الحجة ٦هـ:

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا إلى المقوقس صاحب الاسكندرية بكتاب فيه: ((بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبدالله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد : فإني أدعوك بداعية الإسلام أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم القبط و﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦٓ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾^(٢). فخرج به حاطب حتى قدم عليه الاسكندرية فانتهى الى حاجبه، فلم يلبث ان اوصل اليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

و قال حاطب للمقوقس لما لقيه : ((إنه قد كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة و الأولى فانقم به ثم انتقم منه و اعتبر بغيرك و لا يعتبر بك قال : هات قال : إن لنا ديناً لن ندعه إلا لما هو خير منه و هو الإسلام الكافي به الله فقد ما سواه إن هذا النبي صلى الله عليه و سلم دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش و أعداهم له يهود و أقربهم منه النصارى و لعمرى ما بشارة موسى بعيسى بن مريم إلا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه و سلم و ما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل و كل نبي أدرك قوما فهم من أمته فالحق عليهم أن يطيعوه فأنتم ممن أدركه هذا النبي و لسنا ننهاك عن دين المسيح و لكننا نأمرك به)).

(١) الكلاعي، الاكتفاء، ج ٢، ص ١١، ١٢ .

(٢) سورة ال عمران، الآية: ٦٤.

فقال المقوقس:

إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه و لا ينهى إلا عن مرغوب عنه و لم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب و وجدت معه آلة النبوة بإخراج الخبء و الإخبار بالنجوى و سأنظر.

و أخذ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فجعله في حق من عاج و ختم عليه و دفعه إلى جارية له ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية فكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم :

((بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد : فقد قرأت كتابك و فهمت ما ذكرت فيه و ما تدعو إليه و قد علمت أن نبياً بقي و كنت أظن أنه يخرج بالشام و قد أكرمت رسولك و بعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم و بكسوة و أهديت إليك بغلة لتركبها والسلام عليك)).

و لم يزد على هذا و لم يسلم وهاتان الجاريتان اللتان ذكرهما احدهما مارية ام ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم و اختها سيرين وهي التي وهبها النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت فولدت له ابنه عبدالرحمن و البغلة هي دلدل و كانت شهباء، و قيل انه لم يكن في العرب يومئذ غيرها، وانها بقيت إلى زمن معاوية^(١).

ورجع حاطب سنة سبع للهجرة الى المدينة واستغرقت سفارته نحو ثلاثة اشهر تقريباً^(٢)، وعليه فقد كان حاطب سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم قوي البأس وقوي الحجة ولا عجب فقد وصفه المقوقس بدقة عندما قال له: (أحسنت.. انت حكيم جئت من عند حكيم)^(٣).

(١) الكلاعي، الاكتفاء، ج٢، ص١٤.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٢٦٠؛ خطاب، محمود شيت، السفارات النبوية، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٩هـ، ص١٠٤، ١٠٦؛ النووي، تهذيب الاسماء واللغات، ج١، ص١٥١؛ حمدي، د. قحطان، تاريخ المبرزين من فقهاء الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧-١٤٢٨، ص٨٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٨٩.

٤. سفارة دحية الكلبي الى قيصر الروم:

يدعوه الى الاسلام، وكان قد قلده رسول الله صلى الله عليه وسلم قضاء ناحية اليمن وكان يشبهه بجبريل عليه السلام لحسن صورته وهو من الصحابة المشهورين، وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا هذا نصه:

((بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله اجرک مرتين فإن توليت فان عليك إثم الأريسيين ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (١)).

فلما وصل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قيصر قال لهم قيصر:

التمسوا لي هاهنا أحداً من قومه نسأله عنه، فكان هناك ابو سفيان بن حرب فارسلوا اليه وسأل قيصر:

كيف نسب هذا الرجل فيكم؟

فيكم قلت: هو فينا ذو نسب.

قال: فهل قال هذا القول أحد منكم قبله؟

قلت: لا.

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

قلت: لا.

قال: فهل من آبائه من ملك؟

قلت: لا.

قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟

قلت ضعفاؤهم.

قال: فيزيدون أو ينقصون؟

قلت: بل يزيدون.

(١) سورة ال عمران، الآية: ٦٤ .

قال: فهل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟

قلت: لا .

قال: فهل يغدر؟

قلت: لا.

قال: فهل قاتلتموه وقتلكم؟

قلت: نعم.

قال: فكيف حركم وحربه؟

قلت: كانت دولاً وسجالاً، يدال علينا المرة ويدال عليه الأخرى.

قال: فماذا يأمركم به؟

قلت: يأمرنا أن نعبد الله، ولا نشرك به شيئاً، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة.

قال: فقال لترجمانه قل له: إني سألتك عن نسبه فيكم، فرعمت أنه ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك: هل قال هذا القول أحد قبله، فرعمت أن لا، فقلت: لو كان أحد منكم قال هذا القول قبله لقلت: رجل يأتي بقول قد قيل قبله. وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فرعمت أن لا، فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك: هل كان من آبائه من ملك، فرعمت أن لا، فقلت: لو كان من آبائه ملك قلت رجل يطلب ملك آبائه. وسألتك أشراف الناس يتبعونه أو ضعفاؤهم، فرعمت أن ضعفاءهم ابتعوه، وهم أتباع الرسل. وسألتك: هل يزيدون أو ينقصون، فرعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم. وسألتك: هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فرعمت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد. وسألتك: هل يغدر، فرعمت أن لا، وكذلك الرسل لا يغدرون. وسألتك: هل قاتلتموه وقتلكم، فرعمت أن قد فعل، وأن حركم وحربه يكون دولاً، وكذلك الرسل تبتلى وتكون لها العاقبة. وسألتك: ماذا يأمركم به، فرعمت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة. وهذه صفة نبي، قد كنت أعلم أنه خارج، ولكن لم أظن أنه منكم وإن يكن ما قتل حقاً فيوشك أن يملك موضع قدمي هاتين، ولو أرجو أن أخلص إليه لتجشمت لقيه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه.

فقال قيصر لقومه:

يا معشر الروم، الستم تعلمون ان بين عيسى والساعة نبيا بشركم به عيسى بن مريم ترجون ان يجعله الله فيكم؟ قالوا: بلى. قال: فان الله قد جعله في غيركم، في اقل منكم عددا، واضيق منكم بلدا، وهي رحمة الله عز وجل، ويضعها حيث يشاء...يقول ابو سفيان: فوالله ما زلت ذليلا مستيقنا ان امره سيظهر، حتى ادخل الله علي الاسلام.

نلاحظ هنا ان اختيار الرحمة المهداة الصحابي الفقيه القاضي الحسن الصورة، لما كلن يتمتع به الصحابي المشهور دحية الكلبي من الذكاء والفطنة والنشاط والفهم والعلم وحسن الصورة (دبلوماسيا) وسفيرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت سفارته ناجحة ومثمرة قلبت قلب قيصر الى الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم الى حد انه يقول: لو كنت عنده لغسلت قدميه..فهذه هي بركة الاسلام وبركة الايمان الذي ما ان لامس القلوب حتى جعلها ترق وتستسلم للواحد الجبار^(١).

٥. سفارة عمرو بن العاص الى جيفر وعبد ابني الجلندي ملكي عمان:

وكتب الكتاب ابي بن كعب وختمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان نصه:
(بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد بن عبدالله إلى جيفر و عبد ابني الجلندی سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد : فإنني أدعوكم بداعية الإسلام أسلما تسلما فإنني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا و يحق القول على الكافرين و إنكما إن أقررتما بالإسلام و لیتكما و إن أبيتما أن تقررا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما و خيلي تحل بساحتكما و تظهر نبوتي على ملككما)).

(١) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص٦٠٦؛ ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص٢٥٩؛ العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، رواية بقي بن خالد، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ص٦٢؛ الطبري، تاريخ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٦٢م، ج٤، ص٢٨٢؛ النوبري، نهاية الارب في فنون الادب، وزارة الثقافة والارشاد القومي، مصر، ج١٨، ص١٥٨؛ ابن سيد الناس، عيون الاثر في فنون المغازي والشمال والسير، تحقيق لجنة احياء التراث العربي، ط٣، دار الافاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٢م، ج٢، ص٣٣٠ - ٣٣٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص٢٦٤؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، ج٢، ص١٨٢، وينظر، حمدي، د. قحطان، تاريخ المبرزين من فقهاء الصحابة، ص٨١-٨٤.

قال عمرو : ثم خرجت حتى انتهيت إلى عمان فلما قدمتها عمدت إلى عبد و كان أحلم الرجلين و أسهلها خلقا فقلت : إني رسول الله إليك و إلى أخيك فقال : أخي المقدم علي بالسن و الملك و أنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك ثم قال لي : و ما تدعو إليه ؟ قلت : أدعوك إلى الله وحده لا شريك له و تخلع ما عبد من دون الله و تشهد أن محمدا عبده و رسوله قال : يا عمرو إنك ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك فإن لنا فيه قدوة ؟ فقلت : مات و لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه و سلم وددت أنه كان أسلم و صدق به و قد كنت أنا على مثل رأيه حتى هداني الله للإسلام قال : فمتى تبعته ؟ قلت : قريبا فسألني أين كان إسلامي ؟ فقلت : عند النجاشي و أخبرته أن النجاشي قد أسلم قال : فكيف صنع قومه بملكه ؟ قلت : أقروه و اتبعوه قال : و الأساقفة و الرهبان اتبعوه ؟ قلت : نعم قال : انظر يا عمرو ما تقول إنه ليس من خصلة في رجل أفصح له من كذب قلت : ما كذبت و ما نستحله في ديننا ثم قال : ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي قلت : بلى قال : بأي شيء علمت ذلك ؟ قلت : كان النجاشي يخرج له خرجا فلما أسلم و صدق بمحمد صلى الله عليه و سلم قال : لا و الله لو سألني درهما واحدا ما أعطيته فبلغ هرقل قوله فقال له يناق أخوه : أتدع عبدك لا يخرج لك خرجا و يدين دينا محدثا ؟ قال هرقل : رجل رغب في دين واختاره لنفسه ما أصنع به و الله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع قال : انظر ما تقول يا عمرو ؟ قلت : والله صدقتك.

قال عبد : فأخبرني ما الذي يأمر به و ينهى عنه؟

قلت : يأمر بطاعة الله عز وجل و ينهى عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب فقال : ما أحسن هذا الذي يدعو إليه لو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به و لكن أخي أضن بملكه من أن يدعه و يصير ذنبا قلت : إنه إن أسلم ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم قال : إن هذا الخلق حسن وما الصدقة ؟ فأخبرته بما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصدقات في الأموال حتى انتهيت إلى الإبل فقال : يا عمرو و تؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر و ترد المياه ؟ قلت : نعم فقال : والله ما أرى قومي في بعد دارهم و كثرة عددهم يطيعون بهذا قال : فمكنت ببابه أياما و هو يصل إلى أخيه فيخبره كل خبري ثم إنه دعاني يوما فدخلت عليه فأخذ أعوانه بضبعي فقال : دعوه فأرسلت

فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس فنظرت إليه فقال : تكلم بحاجتك فدفعت إليه الكتاب مختوما ففرض خاتمه فقرأه حتى انتهى إلى آخره ثم دفعه إلى أخيه فقرأه مثل قراءته إلا أنني رأيت أخاه أرق منه.

ثم قال : ألا تخبرني عن قریش كيف صنعت ؟ فقلت : تبعوه إما راغب في الدين و إما مقهور بالسيف قال : و من معه ؟ قلت : الناس قد رغبوا في الإسلام و اختاروه على غيره و عرفوا بعقولهم مع هدي الله إياهم أنهم كانوا في ضلال فما أعلم أحدا بقي غيرك في هذه الحرجة وأنت إن لم تسلم اليوم و تتبعه يوطئك الخيل و بيد خضراءك فأسلم تسلم و يستعملك على قومك ولا يدخل عليك الخيل والرجال قال : دعني يومي هذا وارجع إلي غدا فرجعت إلى أخيه فقال : يا عمرو إنني لأرجو أن يسلم إن يضمن بملكه حتى إذا كان الغد أتيت إليه فأبى أن يأذن لي فانصرفت إلى أخيه فأخبرته أنني لم أصل إليه فقال : إنني فكرت فيما دعوتني إليه فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلا ما في يدي و هو لا تبلغ خيله إلي هاهنا و إن بلغت خيله ألفت قتالا ليس كقتال من لاقى قلت : و أن خارج غدا فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه فقال : ما نحن فيما قد ظهر عليه و كل من أرسل إليه قد أجابه ؟ فأصبح فأرسل إلي فأجاب إلى الإسلام هو و أخوه جميعا و صدقا النبي^(١).

لقد استطاع عمرو بن العاص ان يقنع الرجلين بذكائه وفراسته وفصاحته وتمرسه على الدبلوماسية لان له باع طويل في السفارة قبل الاسلام، فانتصر الاسلام بجهوده في عمان.^(٢)

٦. سفارة سليط بن عمرو العامري الى ثمامة بن أثال وهوذة بن علي الحنفين ملكي

اليمامة:

وكان نص الكتاب:

((بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى هوذة بن علي

سلام على من اتبع الهدى و اعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف و الحافر فأسلم تسلم و أجعل لك ما تحت يديك)).

(١) النويري، نهاية الارب، ج ١٨، ص ١٩٧؛ ابن سيد الناس، عيون الاثر، ج ٢، ص ٣٤٠ - ٣٤٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية،

ج ٤، ص ٣٧٤؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، ج ٢، ص ١٨٣.

(٢) حمدي، د. قحطان، تاريخ المبرزين من فقهاء الصحابة، ص ٨٩ - ٩١.

فلما قدم عليه سليط بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم مختوما أنزله و حباه و قرأ عليه الكتاب فرده دون رد و كتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم : ما أحسن ما تدعو إليه و أجمله و أنا شاعر قومي و خطيبهم و العرب تهاب مكاني فاجعل إلي بعض الأمر أتبعك و أجاز سليطا بجائزة وكساه أثوابا من نسج هجر^(١). فقدم بذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم كتابه و قال : لو سألني سيابة من الأرض ما فعلت باد و باد ما في يديه فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الفتح جاءه جبريل عليه السلام بأن هودة قد مات فقال صلى الله عليه وسلم : أما إن اليمامة سيخرج بها كذاب يتتبا بعدي فقال قائل : يا رسول الله من يقتله ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت وأصحابك فكان كذلك^(٢). أما ثمامة بن أثال الحنفي^(٣) فقد كان سيد اهل اليمامة واسلم قبل مقدمه الحديبية، وقد قصده سليط كما قصد هودة، ولم تذكر المصادر المعتمدة نص كتاب النبي صلى الله عليه وسلم^(٤).

٧. سفارة العلاء الحضرمي الى المنذر بن ساوى العبيدي ملك البحرين:

وكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام، فكتب المنذر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أما بعد يا رسول الله فإني قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه وبأرضي مجوس ويهود فأحدث إلي في ذلك أمر)). فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله أما بعد : فإني أذكرك الله عز وجل فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي وإن رسلي قد أثنوا عليك خيرا وإني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت على أهل

(١) هجر: قاعدة البحرين، وقيل ناحية البحرين كلها هجر، ينظر: يعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن وهب الكاتب المعروف بان واضح الاخباري، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٨، ص١٤٥ - ١٤٧.

(٢) العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٧؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٦٢؛ النويري، نهاية الارب، ج١٨، ص١٦٦؛ ابن سيد الناس، عيون الاثر، ج٢، ص٣٤٢، ٣٤٣؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، ج٢، ص١٨٣.

(٣) هو ثمامة بن اثال بن النعمان بن عبيد بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة الحنفي، ينظر: ابن حزم الاندلسي، جمهرة انساب العرب، ص٣١٢.

(٤) القريري، احمد بن علي الحسيني (ت٨٤٥هـ) امتاع الاسماع، القاهرة، ١٩٤١م، ج١، ص٣٠٨، خطاب، السفارات، ص١٣٢.

الذنوب فاقبل منهم وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية)). أسلم المنذر وحسن اسلامه ومات قبل ردة اهل البحرين^(١). أما اهل البلاد من يهود ونصارى ومجوس فقد وافقوا على دفع الجزية، من كل حالم دينار^(٢). والصحابي العلاء بن الحضرمي كان من خيار الصحابة ومن سفراء النبي صلى الله عليه وسلم وكتّابه وقادته من قادة الفتح الاسلامي والولاة المشهورين^(٣).

وهو بلا شك من الابطال المتميزين بالشجاعة والثبات كان من خراج البحرين على يده^(٤).

٨. سفارة شجاع بن وهب الاسدي الى الحارث بن شمر الغساني ملك تخوم الشام:

ويقال بعثه الى جبلة بن الايهم الغساني، وكان نص الكتاب:

((بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحارث بن أبي شمر، سلام على من اتبع الهدى، وآمن به وصدق به، وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك)).

يقول شجاع فاخذت الكتاب، فانتهيت إلى حاجبه، فأخذه وهو يومئذ مشغول بتهيئة والألطف لقيصر وهو جاء من حمص إلى إيلياء، حيث كشف الله عنه جنود فارس، فشكر الله. قال: فانتهيت إلى حاجبه، فأقمت عنده يومين أو ثلاثة. فقلت لحاجبه: إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه. فقال حاجبه: لا تصل إليه - وكان رومياً، وكان اسمه مري - قال: فكنت أحدثه عن صفة النبي صلى الله عليه وسلم وما يدعو إليه، فيرق حتى يغلبه البكاء، ويقول: إني قرأت الإنجيل فأجد صفة النبي صلى الله عليه وسلم بعينه، فكنت أراه يخرج بالشام، فأراه قد خرج بأرض القرظ، فأنا أومن به وأصدقائه، وأنا أخاف الحارث بن أبي شمر أن يقتلني.

قال شجاع: فكان - يعني هذا الحاجب - يكرمني ويحسن ضيافتي، ويخبرني عن الحارث باليأس منه، وكان يقول: هو يخاف من قيصر.

(١) ابن سعد، الطبقات،

(٢) خطاب، السفارات النبوية، ص ٤٧.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٥، ص ٣٥٢.

(٤) خطاب، السفارات النبوية، ص ٤٠٤؛ حمدي، د. قحطان، تاريخ المبرزين من فقهاء الصحابة، ص ٩٢، ٩٣.

قال فخرج الحارث يوماً، فوضع التاج على رأسه فأذن لي عليه، فدفعت إليه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقرأه ثم رمى به، ثم قال: ومن ينزع ملكي؟ أنا سائر إليه، ولو كان باليمن جئته، علي بالناس. فلم يزل يفرض حتى الليل، وأمر بالخيول تتعل، ثم قال: أخبر صاحبك بما ترى.

قال: وكتب إلى قيصر يخبره بخيري وكتاب النبي صلى الله عليه وسلم إليه، فيصادف قيصر بإلياء وعنده دحية، فدفع إليه بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقرأه قيصر، ثم كتب إليه: ألا تسير إليه، وله عنه، ووافني بإلياء، وعنده دحية الكلبي، وقد بعثه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قرأ قيصر كتاب الحارث، كتب إليه: ألا تسر إليه وإله عنه، ووافني بإلياء. قال: ورجع الكتاب وأنا مقيم. قال: فلما جاءه جواب الكتاب دعاني فقال: متى تريد أن تخرج إلى صاحبك؟ قال: فقلت: غداً. قال: فأمر لي بمئة مثقال من ذهب، قال: ووصلني بكسوة ونفقة، وقال: أقرئ رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام، وأخبره أنني متبع دينه.

قال شجاع: فقدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرته بما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " صدق " .

وابن هشام يقول: بأن المرسل إليه جيلة بن الايهم بدل الحارث بن ابي شمر^(١)، ويلاحظ ان شجاع بن وهب كان صابراً على مقابلة الحارث وصبر على كلامه، ولا عجب فهو قائد فذ من قواد النبي صلى الله عليه وسلم وشهد مشاهد النبي صلى الله عليه وسلم كلها، ولم يتخلف عن مشهد من مشاهدها فضلاً عن شهوده بعض سراياه، وابلى في مشاهده اعظم البلاء، واستشهد يوم اليمامة سنة احدى عشرة للهجرة^(٢).

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٦١؛ العسفرى، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٨؛ النويري، نهاية الارب، ج ١٨،

ص ١٦٥؛ ابن سيد الناس، عيون الاثر، ج ٢، ص ٣٤٣، ٣٤٤؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، ج ٢، ص ١٨٣.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٩٥؛ وينظر: خطاب، السفارات النبوية، ص ٣٦٤؛ وينظر، حمدي، د. قحطان، تاريخ المبرزين

من فقهاء الصحابة، ص ٩٣، ٩٤.

٩. سفارة المهاجر بن ابي امية المخزومي الى الحارث بن عبد كلال الحميري ملك اليمن:

ونص الرسالة:

((بسم الله الرحمن الرحيم، الى الحارث ومسروح (الصواب شُرحبيل) ونعيم بن عبد كلال من حمير: سلمتُ أنتم ما آمنتم بالله ورسوله، وأن الله وحده لا شريك له، بعث موسى بآياته، وخلق عيسى بكلماته، قالت اليهود: عزيز ابن الله، وقالت النصارى: الله ثالث ثلاثة عيسى ابن الله. وبعث بالكتاب مع عياش بن أبي ربيعة المخزومي وقال: إذا جئت أرضهم فلا تدخل ليلاً حتى تصبح، ثم تطهر فأحسن طهورك، وصل ركعتين، وسل الله النجاح والقبول، واستعذ بالله، وخذ كتابي بيمينك، وادفعه بيمينك في أيانهم، فإنهم قابلون)).

واقرأ عليهم: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ (١) فإذا فرغت منها فقل: آمن محمد وأنا أول المؤمنين، فلن تأتيك حجة إلا دحضت، ولا كتاب زخرف إلا ذهب نوره، وهم قارئون عليك، فإذا رطنوا فقل ترجموا وقل حسبني الله " آمنت بما أنزل الله من كتاب، وأمرت لأعدل بينكم، الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لا حجة بيننا وبينكم، الله يجمع بيننا وإليه المصير " فإذا أسلموا فسلهم قضبهم الثلاثة التي إذا حضروا بها سجدوا وهي من الأثل، قضيب ملمع ببياض وصفرة، وقضيب ذو عجر كأنه خيزران، والأسود البهيم، كأنه من ساسم، ثم أخرجها فحرّقها بسوقهم)) (١).

وقال المبعوث النبوي: ((فخرجت أفعل ما أمرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا دخلت، إذا الناس قد لبسوا زينتهم، قال: فمررت لأنظر إليهم، حتى انتهت إلى ستور عظام على أبواب دور ثلاثة، فكشفت الستر، فأدخل الباب الأوسط، فانتهت إلى قوم في قاعة الدار، فقلت: أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعلت ما أمرني، فقبلوا، وكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم)) (٢). وهكذا اسلم الحارث ومن معه على يدي المهاجر بن ابي امية المخزومي.

ومما يلاحظ في هذه الرسالة النبوية والامر النبوي، هو تعليم سفير النبي الاسلوب نفسه المعمول به حديثاً في الجيش وفي وزارة الداخلية..

(١) سورة البينة، الآية: ١.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٢٨٢، ٢٨٣؛ النويري، نهاية الارب، ج ١٨، ص ١٦٨؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، ج ٢،

لقد نجح المهاجر في سفارته الى الحارث في اليمن اعظم النجاح وكان اثر وتأثير هذا السفير في الحارث عظيماً^(١).

ولاقى المهاجر بن ابي امية المخزومي الأمرين في حرب ردة اليمن، ولكنه صبر وصابر ورابط حتى كتب له النصر^(٢)، واستطاع ان يعيد الوحدة والامان في اليمن تحت ظل الاسلام العظيم.

وبهذه الكتب التي ارسلها الرحمة المهداة صلى الله عليه وسلم كان قد ابلغ دعوته الى اكثر ملوك الارض فمنهم من آمن ومنهم من كفر^(٣)، فكانت دعوته صلى الله عليه وسلم عالمية الى العالم كافة لتبليغ رسالة السماء، وقد كان.

ومن الجدير بالذكر ان هذه الكتب التي ارسلها الرحمة المهداة الى الملوك كانت مختومة بختم (محمد رسول الله)، حيث اتخذ خاتماً من فضة فصه منه نقشه ثلاثة اسطلا (محمد) سطر، (رسول) سطر، (الله) سطر، وختم به الكتب لان الملوك لا يقرأون كتاباً الا مختوماً^(٤).

(١) خطاب، السفارات النبوية، ص ١٦٧، ١٦٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٦٠.

(٣) المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، ص ٣٦١.

(٤) النويري، نهاية الارب، ج ١٨، ص ١٥٦؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، ج ٢، ص ٢٩؛ وينظر: حمدي، د. قحطان، تاريخ

المبرزين من فقهاء الصحابة، ص ٩٤ - ٩٦.

الخاتمة والاستنتاجات

- تبين بعد البحث في المصادر التي تهتم بالموضوع والاطلاع الواسع على تفاصيل السفارة في العهد النبوي انه هناك العديد من الاستنتاجات المهمة ومنها:
١. اكد البحث انه لمفردة السفير والسفارة معنى لغوي والآخر اصطلاحي تجتمعان في غرض واحد الا وهو استخدام العقل في تحقيق الاغراض السياسية.
 ٢. تبين ان الشريعة الاسلامية اهتمت اهتماما دقيقا بتنظيم العلاقات الداخلية والخارجية بالطرق الدبلوماسية.
 ٣. كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعتمد على السفراء في الدعوة والتبليغ والاقناع.
 ٤. كانت مرحلة الرسالة تعد المرحلة التأسيسية للقوانين الادارية والسياسية ومن اهمها اسس السفارة.
 ٥. بينت الشريعة الاسلامية شروطا خاصة يجب ان تتوفر في السفير.
 ٦. تبين من خلال البحث ان مواصفات السفير تتطابق والمهمة التي ارسل من اجلها.
 ٧. كان هناك انواع من السفارات، الدعوية والسياسية والاصلاحية.
 ٨. قدمت السيرة النبوية تطبيقا عمليا للنظرية الاسلامية بما يخص السفارة والسفير.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم.